مونوغرافيا القضية الفلسطينية في الدراما السورية المعاصرة:
مقاربة مسحية/رصدية لحضور القضية تلفزيونيا منذ عام 1973 وإلى يومنا هذا

Monography of the Palestinian cause in Syrian drama:
A survey/observational approach to the cause's presence on TV since 1973 to the present day

د. بن شرّاد محمد أمين *

[1] المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام، bencharad.amine@ensjsi.dz

تاريخ الاستلام: 2024/09/15	تاريخ القبول: 2024/11/26	تاريخ النشر: 2024/12/05

ملخص:

شكلت القضية الفلسطينية جُزءا محوريًا من الوجدان العربي منذ سبعين سنة ونيف، تابع فيها الفرد العربي تطوراتها ونكساتها عبر ما تبثه عنها وسائل الإعلام المختلفة فتعاطف معها وآمن بها، ومع اندلاع أحداث طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر الماضي عادت هذه القضية المصيرية مجددا لتصدّر المشهد السياسي والاجتماعي والإنساني العربي والعالمي بعد فترة فتور طويلة نسبيًا مرّت بها.

وتعتبر الدراما السورية تجربةً رائدة في مجالها على المستويين العربي والعالمي، إذ نجحت في الاقتراب من أهم القضايا المجتمعية الحيوية وتقديمها ضمن قوالب درامية مميزة، بيد أنّ القضية الفلسطينية كان لها هي الأخرى نصيبٌ طيب من التناول والمعالجة في الأعمال التلفزيونية السورية.

وفي هذه الورقة البحثية، نسعى لرصد حضور القضية على مدار خمسين سنة من تاريخ الدراما السورية الرائدة، من خلال قيامنا بمسح جميع المسلسلات التي تناولتها واحدًا واحدًا، عبر اعتماد مقاربة مونوغرافية رصدية، بغية تشكيل مرجعٍ فهرسي شامل وكشّاف متكامل يساعد الباحثين في معرفة جميع الأعمال الدرامية السورية التي تناولت القضية الفلسطينية وتحديد كيفية حضور الفلسطينيين فيها.

كلمات مفتاحية: الدراما السورية، القضية الفلسطينية، المونوغرافيا، المسلسلات التلفزيونية.

* **المؤلف المرسل: د. بن شرّاد محمد أمين** **الإيمايل** bencharad.amine@ensjsi.dz

Abstract

The Palestinian cause has formed a pivotal part of the Arab conscience for over 70 years, during which the Arab individual followed its developments through the vaious media and sympathized with them. With the outbreak of the Al-Aqsa flood events on the seventh of October, the cause returned once again to the forefront of the political, social and humanitarian scene after a period of sluggishness she passed by.

Syrian drama is considered a pioneering arabic and international experience as it succeeded in approaching the most important societal issues and presenting them in distinctive dramatic forms, including the Palestinian issue, which had a good share of discussion and treatment.

& in this paper, we seek to monitor the presence of the cause over fifty years of the history of the Syrian drama, by surveying all the series that dealt with it one by one, by adopting an observational monographic approach, to form a comprehensive reference and a complete index that helps researchers know all the Syrian dramatic works that dealt with the Palestinian cause and determining how Palestinians participate in it.

Keywords: Syrian drama; Palestinian cause; monography; TV series .

مقدمـة:

نجحت الدراما التلفزيونية العالمية في جذب الانتباه وزيادة الوعي حول قضايا اجتماعيةٍ وفكرية هامةٍ تلتقي عندها الأمم جميعا، وسلّطت أضواءها على قصصٍ ومواضيع لم تنل قسطًا كافيًا من الفهم والمعالجة الدرامية، بيد أن عملية المعاجة هذه تمثّل عصب الفعل الدرامي الجاد والملتزم.

ومنذ سبعين عاما من الزمن، كانت القضية الفلسطينية جزءا كبيرا من الهمّ العربي، ودليلا قطعيا على حالة التفسخ التي أصابت العالم العربي وضربت قيمه في مقتل، وباتت صُور الشهداء الفلسطينيين مشهدا عاديا ومتكررا في النشرات الإخبارية التلفزيونية تعوّد عليه كثيرون، وباتت بعض الأنظمة السياسية ترنو نحو وأد القضية وتطبيع وجود الكيان بيننا.

غير أنّ صناع الدراما السورية كان لهم توجّه آخر، فكانت المسلسلات الدرامية السورية سبّاقة دائمًا في تلقّف فكرة "التحرير" الفلسطيني، وتسليط أضواء تلفزيونية جديدة عليها وتقديمها ضمن قوالب درامية مميزة ومتنوعة، وذلك بهدف إثارة فكر المتلقي نحو هذه القضية السياسية/الاجتماعية المؤلمة، وتقديمها بالشكل الذي يتيح للمشاهد التعرّف عليها أكثر وفهمها، ومن ثمة التعاطف معها ومساندتها بناءً على الصور الدرامية المقدمة عنها.

وفي هذه الورقة البحثية، نسعى إلى انجازٍ مسحٍ مونوغرافي لجميع المسلسلات الدرامية التي تناولت القضية الفلسطينية، عبر تقسيم هذه المونوغرافيا إلى فرعين اثنين كبيرين، فرعٌ أول يشمل المسلسلات السورية

التي كانت القضية الفلسطينية هي موضوعها الرئيسي، وفرع ثانٍ للمسلسلات السورية التي ظهرت فيها شخصية فرعية أو قصة درامية فرعية جانبية غير رئيسية تمثّل القضية الفلسطينية، وذلك بهدف إنجاز كشّاف مونوغرافي متكامل، مع استبعادنا لجميع "الأفلام" السورية والمسلسلات "الكوميدية" التي أوردت القضية أو عالجتها، والتركيز حصرا على المسلسلات "الدرامية"، ومردّ ذلك ضيق الوقت وضخامة المادة التي سنعمل عليها، وبالتالي فضلنا التركيز حصرا على المسلسلات التلفزيونية الدرامية.

على أن نطرح التساؤل الرئيسي التالي:

ما الأعمال التلفزيونية الدرامية السورية التي تناولت القضية الفلسطينية؟

وعن **أسباب اختيار الموضوع**، فمن المتعارف عليه أن اختيار أي موضوع للدراسة، يكون ناتجًا عن جملة من الدوافع أو الأسباب المؤدية لذلك الاختيار، أما **الأسباب الذاتية**: فتعود لاهتمام الباحث بالدراما التلفزيونية السورية كمادةٍ بحثية واهتمامه بالمواضيع المرتبطة بالصور المقدمة عن القضية الفلسطينية، خاصةً تلك التي لم تقدم عربيا بعد بالشكل المطلوب، وملاحظة الباحث نقصًا حادا في الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة الرابطة بين متغيري الدراما السورية والقضية الفلسطينية، ورغبتنا في سد جزءٍ من النقص الحاصل في هذا المجال.

أما **الأسباب الموضوعية**، فتعود للاهتمام الذي أولته الدراما السورية للقضية الفلسطينية، واستفادة القضية من الدراما السورية الرائدة للتعاطف معها ودفع المتلقين لفهمها أكثر والدفاع عنها، وهذا بالنظر لأهمية للدراما التلفزيونية في بناء الصور ونقل الواقع، أما السبب الثاني فهو أهمية مساهمة الدراما التلفزيونية في معالجة المواضيع الاجتماعية والسياسية، خاصة تلك التي تتناول قضية محورية من قضايا العصر الحالي، والتي بدأت تعود لزخمها وانتشارها وتأخذ حيزا أوسع في العالم بُعيد أحداث طوفان الأقصى.

وعن **أهداف الدراسة**: فيسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى وضع أول كشّاف مونوغرافي أكاديمي عربي متكامل حول تواجد القضية الفلسطينية في الدراما التلفزيونية السورية المعاصرة، والعمل على مسح جميع أعمال الدرامية التي تناولتها، وتقسيمها حسب أولوية حضور القضية في القصة والسيناريو (هل هي موضوع المسلسل الرئيسي أم قصة فرعية جانبية منه؟)، وكذا حسب أهمية الشخصية الفلسطينية في محتواها (هل الفلسطيني من أبطال العمل أم شخصية فرعية ثانوية جانبية؟)، ومن ثمة معرفة أشكال حضور القضية دراميًا، ولما لا أخذ فكرة عامة عن توجهات صناع الدراما السورية نحو الفلسطينيين ونكبتهم.

وعن **أهمية الدراسة**: فتكمن في أهمية الموضوع ذاته، أين يُعدّ المسح المونوغرافي لحضور القضية الفلسطينية في الدراما التلفزيونية السورية المعاصرة موضوعًا هامًا زادت أهميته إطرادًا مع أحداث طوفان

الأقصى وعودة الزخم الوجداني نحو فلسطين، والاهتمام الإعلامي الكبير الذي عرفته القضية خلال السنة الماضية في العالم بأسره. كما ترتبط أهمية هذه الدراسة ارتباطا وثيقا بالصورة الذهنية وما تلعبه هذه الأخيرة في صناعة آراء وأفكار وقناعات المتلقين والمشاهدين، ودورها الكبير في ثلاثية التبليغ والتأثير والاقناع، مع تقاطع هذه الأهمية مع أهمية المسح المونوغرافي كأداة عمل فعّالة تندرج تحت منهج "دراسة الحالة" الكيفي، والتي تساعد بكفاءة في مسح كل العناصر المنضوية تحت "الحالة" محل الدراسة، خاصة في مثل هذه المواضيع المرتبطة بتواجد القضية الفلسطينية دراميًا.

أما **المنهج المستعمل:** فعلى اعتبار أن المنهج هو الطريق الذي يتبعه الباحث أثناء إجراء دراسته، كونه يحدد جملة الخطوات المنظمة التي على الباحث إتباعها في من أجل الوصول إلى الأهداف المسطرة (عمر، 2002 ، صفحة 166) فإن دراستنا هذه ستعتمد على **المنهج المونوغرافي** في رصد ومسح جميع الأعمال الدرامية التلفزيونية السورية المعاصرة التي تناولت القضية الفلسطينية بشكلٍ أو بآخر، كون المونوغرافيا هي المنهج الأنسب للمسح الكلي لهذا النوع من المواضيع، والأقدر على ترتيبها وتنظيمها.

ويندرج هذا المنهج ضمن مجال أوسع هو **دراسة الحالة** الذي يعرف بأنه "بحثٌ متعمق في العوامل المعقدة والمتعددة والتي تسهم في تشكل وحدة اجتماعية ما، وذلك بالاستعانة بأدوات البحث الضرورية لتجميع البيانات الضرورة" (أبراش، 2009 صفحة 161)، أما **المونوغرافيا** فهي تخصص فرعي يشير إلى "المجال الذي له علاقة بالملاحظة المباشرة للوحدة المضبوطة ضمن حقل الدراسة، وتتمثل مهمته في وصف ورسم وتصوير حيثيات الممارسة الثقافية محل الدراسة ووصف الانتاج والنشاط الإنساني في محيطه الطبيعي والاعتيادي وكل المظاهر ذات العلاقة. والمونوغرافيا بهذا المعنى تعني توجيه الانشطة الفنية من ملاحظة وتصوير ورسم ووصف لمادةٍ ذات خصائص محددة وموحدة، أي موضوع موحد المعالم يتعلق بالوسط أو بنظام العمل أو بالمعتقد أو بالعادات أو بالمؤسسات أو بالأدوات أو بالإنتاج أو بالممارسات الثقافية بوجه عام". (الخضراوي، 2021، صفحة 145)

أما **حالة الدراسة** فقد تمّ اختيار الدراما السورية المعاصرة كحالة بحثية، لاعتبارات بحثية عديدة أهمها:

- أنّ لها علاقةً مباشرة بموضوع الدراسة، وهو حضور القضية الفلسطينية في الدراما التلفزيونية السورية المعاصرة.
- تقديم الدراما السورية للقضية الفلسطينية فنيًا، وبناء صور ذهنية عنها في أذهان المتلقين.
- تعتبر الدراما التلفزيونية السورية مرجعًا مونوغرافيًا هامًا يحتاج الدراسة والبحث.

وبالعودة إلى المونوغرافيا، فمن المهم الإشارة إلى ملاحظتين اثنتين مهمتين للغاية، **الأولى** أنّ المونوغرافيا هي عملية مسحٍ ووصف ورسم وتصوير لكل العناصر المتعلقة بموضوع واحد فقط، وباعتبار أنّ موضوعنا هنا هو حضور القضية الفلسطينية في الدراما التلفزيونية السورية المعاصرة، فإننا قمنا بمسح جميع الأعمال الدرامية السورية عى مدار خمسة عقود من الزمن والبحث فيها عن أي حضورٍ للقضية، سواءً أكانت هذه الأخيرة هي موضوعها الرئيسي وأبطالها يلعبون أدورًا محورية متعلقة بالقضية، أم كانت القضية مجرد قصة فرعية جانبية في السيناريو تلعبها شخصيات فرعية غير رئيسية، وقد قمنا على مدار تسعة أشهر كاملة (ابتداءً من الـ 23 من ديسمبر 2023 إلى غاية تاريخ إرسال البحث) بمسح 311 مسلسلا دراميًا سوريًا تغطي في مجملها خمسين عاما من تاريخ هذه الصناعة ويعود أقدمها إلى سنة 1973، بيد أنّ أغلبها تمّ إسقاطها لعدم تسجيل أدنى حضورٍ للقضية الفلسطينية فيها، وبالتالي يستحيل إدراجها في هذا الكشاف.

أما الملاحظة الثانية، فهي أنه ومع الجهد الرهيب والوقت الكثير الذي يتطلبه مسح كل الأعمال السورية، فإننا اكتفينا فقط بالمسلسلات الدرامية السورية لمدة خمسين عاما، واستبعدنا جميع الأفلام السورية (طويلةً كانت أم قصيرة، روائيةً أم تسجيليةً)، كما استبعدنا جميع المسلسلات الكوميدية حتى تلك التي قد تكون أوردت القضية أو عالجتها، وقمنا بالتركيز حصرا على المسلسلات الدرامية، وذلك بسبب ضيق الوقت وضخامة المادة التي سنعمل عليها.

1. حضور القضية الفلسطينية من خلال محاور قصصية رئيسية و/أو شخصيات محورية:

صحيح أن الدراما السورية قدّمت القضية الفلسطينية كثيرا خلال العقود الخمسة الماضية، إلا أن المسح المونوغرافي الذي أجريناه، أظهر أن العدد الإجمالي للمسلسلات الدرامية التي تقوم أساسا حول القضية (أي تمّ بناء قصة العمل والسيناريو والشخصيات الرئيسية حول فلسطين) هو عدد ضئيلٌ نسبيا، وفيما يلي رصد شامل لهذه الأعمال، مع التنويه أننا لم نعتمد ترتيبا كرونولوجيًا من الأقدم إلى الأحدث، بل اعتمدنا ترتيبا فنيا يقوم على الترتيب حسب القيمة الفنية والأثر الذي تركه العمل على وجدان المتابعين.

1.1 مسلسل التغريبة الفلسطينية: رهان عدم طمس الذاكرة الفلسطينية

مسلسل "التغريبة الفلسطينية" هو عمل تاريخي درامي سوري (باللهجة الفلسطينية القديمة) متكون من واحدٍ وثلاثين حلقةً وعُرض لأول مرة سنة 2004، وهو مبني على قصة وسيناريو وحوار الكاتب وليد سيف (الذي هو بنفسه من الفلسطينيين الذين عاشوا مرارة التغريب والتهجير)، ومن إخراج المخرج الراحل حاتم علي، ومن إنتاج شركة سوريا الدولية للانتاج، يُغطّي المسلسل حياة أسرة فلسطينية فقيرة في عهد الانتداب البريطاني، على مدار ثلاثين عاما كاملا، حيث تُلخِّص الأحداث التي مرّت بها هذه الأسرة خلال حقبة تاريخية هامة في حياة

الفلسطينيين امتدت بين ثلاثينيات وستينيات القرن العشرين، ومرورهم بالعديد من الأحداث الهامة، حتى بلوغهم نكسة عام 1967م، ويرصد صمود أفراد الأسرة على الرغم مما واجهوه من أخطار الحرب والتهجير، إذ نقلت شخصيات العمل ووثقت معاناة الفلسطينيين على نحو مطابق للواقع، وهو من بطولة تيم حسن، خالد تاجا، جمال سلميان وغيرهم.

يعتبر "التغريبة الفلسطينية" عملا نضاليا ضد النسيان، بدءًا باللهجة الفلسطينية القديمة التي استعملها جميع الممثلين السوريين، وصولا إلى وجبات الطعام ووصفاتها التقليدية، ومحافظتهم على طريقة اللباس والغناء وطرق إحياء المناسبات الدينية والاجتماعية، مرورا بتصوير الهمج الإسرائيلي/البريطاني وأهمية المقاومة المسلحة ورفض الاستعمار والانتداب، والتمسك بالأرض وعدم بيعها أو التنازل عنها.

2.1 مسلسل رسائل الحب والحرب: مقاومة دول الشام معا ضد عدو مشترك

مسلسل "رسائل الحب والحرب" مسلسل تاريخي اجتماعي سوري متكون من ثلاثين حلقةً عُرض لأول مرة سنة 2011، وهو مبني على قصة وسيناريو وحوار الكاتبة ريم حنّا، ومن إخراج باسل الخطيب، ومن إنتاج شركة سوريا الدولية للانتاج، تدور أحداث العمل في سبعينات القرن الماضي عندما يدخل "جلال إبراهيم" السجن بتهمٍ سياسية ملفقة، ثم يصبح مناضلا سياسيا ثم هاربًا من السجن ثم عابراً للحدود من سوريا إلى لبنان ليلتحق برفيقه الفلسطيني "قاسم" ورفاق آخرين من جنسيات عربية يجتمعون كلهم في جنوب لبنان، ثم مراسلاً حربيا يرصد الحرب بين المقاومة الفلسطينية واللبنانية الوطنية وبين الجيش الإسرائيلي الذي يسعى لإبعاد فلسطينيي الخارج عن فلسطينيي الداخل، ويرصد العمل تحوّل لبنان إلى ساحة حرب بالوكالة، وهو من بطولة كل من سلاف فواخرجي، سلوم حداد، قصي خولي، ورامي حنا.

يناقش العمل إشكليات نفسية معقدة، مثل الغفران، المسامحة، الخيانة، حب المال، الطمع، الحب، النسيان، السجن، والاعتقال، والتعذيب وغيرها، مع التركيز على خلفية سياسية تاريخية متينة تتناول المقاومة الفلسطينية وأدواتها، يرصد تعاون فلسطينيي الخارج مع فلسطينيي الداخل وكذا تعاونهم مع السوريين واللبنانيين وعرب من جنسيات أخرى ضد عدو غاشم لا يعرف الرحمة.

وعل كاميرا المراسل الحربي، وأفكار ميشيل فوكو التي كانت حاضرة بقوة، وتكاتف شباب دول الشام معا، يجعله واحد من أهم الأعمال الدرامية السورية المعاصرة التي بنت قصتها حول القضية الفلسطينية.

3.1 مسلسل سحابة صيف: الدية مقابل دم الفلسطيني؟

مسلسل "سحابة صيف" هو مسلسل درامي سوري متكون من ثلاثين حلقةً عُرض لأول مرة في شهر رمضان من سنة 2009، وهو مبني على قصة وسيناريو وحوار الكاتبة إيمان السعيد، ومن إخراج مروان

بركات، تدور أحداث العمل حول معاناة المهجّرين الفلسطينيين والعراقيين وبعض أهل هضبة الجولان المحتلة، والذين يسكنون جميعاً مع أهالي دمشق الفقراء في مناطق الأحياء العشوائية، إذ يرصد العمل همومهم ومعاناتهم وتعاونهم معا وتكاتفهم لمواجهة الحياة. كما يستعرض المسلسل مجموعةً من السوريين الفاسدين المستقويين الذين يستغلون ظروف هؤلاء السيئة لتحقيق مآربهم، وصولا إلى نيلهم ولكنها جزاءهم المستحق في النهاية، كما يكشف المسلسل حالات الفساد في مكاتب السفر والسياحة وشركة الطيران وبالأخص من قبل الانتهازيين فيها ضمن قالب سياسي اجتماعي مركب، وهو من بطولة كل من بسام كوسا، كاريس بشار، ديمة قندلفت، وسلوم حداد.

إحدى أبرز محطات المعاناة الفلسطينية التي قدمها المسلسل هي حين يتعرض اللاجئون المهجّرون لعمليات اغتيال وقنص على الأراضي السورية في أجزائها الفقيرة تحديدا بسبب طبيعة الأحياء الفقيرة وطبائع ساكنة العشوائيات، من خلال قصة الفلسطيني "أبو حبيب"، الرجل الذي رفض كيسا من السكر كي ينسى دم ابنه الشهيد، وكيس العدس بدل البلد التي ضاعت منه، وكل أشكال المؤونة كتعويض له عن العمر الذي لم يعشه، وهي شخصية تؤكد أن الكرامة التي يحملها الشخص تبقى معه أينما ذهب، لا يسلبها منه أحد ولا يعيدها له أي تعويض أو دية.

4.1 مسلسل عائد إلى حيفا

مسلسل " عائد إلى حيفا" هو مسلسل ملحمي ثوري سوري متكون من ثلاثين حلقةً عُرض لأول مرة في شهر رمضان من سنة 2004، وهو مبني على قصة الكاتب غسان كنفاني وسيناريو وحوار الكاتب نزال غسان، ومن إخراج باسل الخطيب، تدور أحداث العمل حول معاناة الفلسطينيين بعيد النكبة وتأثيراتها النفسية العميقة عليهم، وهو من بطولة كل من نورمان أسعد، سامر المصري، وسلوم حداد.

يطرح مسلسل "عائد إلى حيفا" العديد من التساؤلات، كان أبرزها ذلك السؤال الذي يدور حول ما يعنيه "الفقد"، وما إذا كان مقتصرا على الموت فقط، ويدور هذا التساؤل، في اللحظة التي فوجئ فيها بطل العمل "سعيد" بحقيقة أن ابنه "خلدون" قد نشأ على المبادئ اليهودية، وأنه أصبح متطوعا في جيش الاحتلال، بل بات مدافعا أيضا عن أفكاره بضراوة. في مينة حيفا التي كانت من أوال المدن اتي بسطا لاحتلال يده عليها.

وقتها، راح سعيد يعيد النظر في هذا المفهوم، ودفعه ذلك إلى التفكير في ابنه الآخر، الذي يدعى "خالد"، والذي كان قد منعه من الالتحاق بفصائل الفدائيين الفلسطينيين خوفا من فقده هو الآخر.

5.1 مسلسل الاجتياح:

"الاجتياح" هو مسلسل سوري درامي تأريخي، من إنتاج المركز العربي للإنتاج الإعلامي سنة 2007، ومن إخراج المخرج التونسي الراحل شوقي الماجري وسيناريو حوار الكتب الفلسطيني رياض سيف. يصور

المسلسل معاناة الشعب الفلسطيني خلال اجتياح الضفة الغربية وتحديدا مجزرة جنين سنة 2002. ويتناول العمل الأحداث المهولة التي ترافقت مع عملية الدرع الواقي الإسرائيلية عام 2002 وإعادة احتلالهم الأراضي الفلسطينية المحررة واستعمال القوة المفرطة في قمعهم.

يتكون المسلسل من ثلاثة وثلاثين حلقة، وهو من بطولة صبا مبارك، نضال نجم، عباس النوري.

وقد حاز المسلسل على جائزة إيمي العالمية عن فئة المسلسلات الطويلة الأجنبية في السنة الموالية.

تتناول أحداث العمل الأحداث التي دارت خلال الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية ومن رافقها من استعمال اقوى المفرطة والتطرف في التنكيل والذهاب بعيدا في اجتياح جنين، ومن ثمة حصار الريس الراحل ياسر عرفات في رام الله، وحصار كنيسة المهد في بيت لحم وارتكاب مجزرة جنين.

يبدأ المسلسل بإنقاذ مقاومين فلسطينيين فتاتين من حادث مرور مورع: الأولى فلسطينية/إسرائيلية والأخرى يهودية، يتخللها نشوء قصة عاطفية إنسانية بين المقاوم "مصطفى" واليهودية "يائيل التي يعمل أخوها جنديا في الجيش الإسرائيلي، حيث تزوّد "مصطفى" ببعض المعلومات لصالح المقاومة عن طريق استدراج شقيقها المجند.

يتناول المسلسل أحداث من الواقع الفلسطيني، يركز على ما خلف هذه الأحداث من قصص وتفاصيل إنسانية بعيدًا عن السياسة. يجسد فيها واحدة من أبرز مشاهد التلاحم الديني الفلسطيني، في صلاة المسلمين في كنيسة المهد أثناء حصارهم فيها، ودفن موتاهم فيها كذلك.

6.1 مسلسل حدث في دمشق

"حدث في دمشق"، هو مسلسل سوري درامي تاريخي يتكون من ثلاثين حلقة، عُرض لمرة الأولى في شهر رمضان 2013، وتدور أحداث المسلسل خلال فترتين زمنيتين اثنيتن، الأولى بسوريا وفلسطين عام 1947 مع النكبة الفلسطينية حيث يتم رصد التحولات الجذرية التي طرأت على فلسطين وتأثيرها على دول الشام المجاورة، والمرحلة الثانية مع دخول القرن الـ20 حيث استعراض مصير الكثير من الشخصيات وتطورها مع تطور الأحداث السياسية التي عرفها العالم إلى غاية أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

والعمل من بطولة سلاف فواخرجي، مصطفى الخاني، وائل رمضان، ديمة قندلفت، ميسون أبو أسعد، من تأليف عدنان عودة وإخراج باسل الخطيب وإنتاج المؤسسة العامة للإنتاج التلفزيوني والإذاعي.

7.1 مسلسل شجرة النارنج

مسلسل شجرة النارنج مسلسل درامي سوري تم عرضه لمرة الاولى في رمضان من عام 1989، ويتناول قصة أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أبناء، يسافر ابنهم الاكبر ليحارب في فلسطين إبان حرب فلسطين عام

1948 ويستشهد هناك، مما يسبب جرحا كبيرا وكسرا معنويا عميقا للعائلة، ولكن الأب يحاول التماسك إلا أن ما أخطاء أبنائه الأحياء المتكررة تكسره بشدة وتجعل حياته الاجتماعية (في خضم الأحداث السياسية الحادثة في فلسطين) تؤثر عليه وبشدة.

العمل من إخراج سليم صبري، وتأليف حسن سامي يوسف ومراجعة درامية لشريف شاكر، وهو من بطولة سمر سامي، عدنان بركات، سلوم حداد، صباح السالم، وزهير عبد الكريم.

2. حضور القضية الفلسطينية من خلال محاور قصصية جانبية و/أو شخصيات ثانوية:

في العنصر السابق، اطلعنا على مجموع الأعمال الدرامية السورية التي تناولت القضية الفلسطينية تناولا كاملا، أي أن سيناريو المسلسل كان مبنيا بناءً كاملا حولها، ويدور حول هذه المأساة المستمرة منذ سبعة عقود ونيفٍ، والتي يمكن القول بأن عددها قليلا "كمًا"، لكنها ارتكزت على "الكيف" والجودة العالية من حيث المعالجة الدرامية المكثفة والجادة.

على الجانب الآخر، ظهرت لنا عديد الأعمال السورية الدرامية المتميزة خلال العقود الخمس الأخيرة، والتي بقي كُتّاب السنياريو السوريون أوفياء لعهدهم بتناول القضية ولو من خلال قصص درامية جانبية غير محورية تدور في فلك المواضيع الاجتماعية الأساسية التي تدور عليها هذه المسلسلات، من خلال حضور شخصيات فلسطينية أو سورية تحمل همّ هذه القضية العادلة.

وفيما يلي، مسحٌ مونوغرافي على مدى خمسين عاما لجميع المسلسلات الدرامية السورية التي فيها إحدى الشخصيات الثانوية أو القصص الاجتماعية الجانبية التي تناولت القضية.

1.2 مسلسل خريف العشاق: إشكالية تبوأ الفلسطينيين مناصب قيادية في السلطة السورية

هو مسلسل درامي سوري متكون من ثلاثين حلقةً عُرض لأول مرة في شهر رمضان من سنة 2021، وهو مبني على قصة وسيناريو وحوار الكاتبة ديانا جبور، ومن إخراج جود سعيد، وإنتاج شركة إيمار الشام في دمشق، تدور أحداث العمل على مدار عشرين عاماً في سوريا وتحديدا خلال حقبة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، إذ تبدأ القصة عام 1972 وتنتهي عام 1992، ويتناول العمل سيرة ثلاثة شباب اثنان منهما سوريان وثالثهما فلسطيني (مشعل)، يرتبطون مع ثلاث فتيات قادمات من خلفيات وبيئات مختلفة تماما، ويرصد تأثير الأحداث الاجتماعية والسياسية (وعلى رأسها القضية الفلسطينية) على كل زوجين، ضمن قالب سياسي اجتماعي مركب، وهو من بطولة كل من محمد الأحمد، صفاء سلطان، أحمد الأحمد، حلا رجب، لجين إسماعيل، وسوسن أبو عفار.

يحضر "الفلسطيني" في هذا العمل من خلال حدثٍ درامي محوري هو حرب أكتوبر عام 1973، (حين تحالفت مصر وسوريا لتحرير هضبة الجولان السورية وشمال سيناء المصرية وإنهاء التواجد العسكري الأردني على الضفة الغربية، وهي الحرب التي انتهت بخروج إسرائيل من سيناء وتمسكها بالجولان والتوسع فيها أكثر إلى غاية بحيرة طبريا الاستراتيجية لتحقيق أمنها المائي، إذ يتطوع البطل "سعيد" كجندي حرب ويصاب فيها بالصمم، فيتولى "مشعل" الفلسطيني إدارة الإذاعة إثر خطأ في الأسماء بينه وبين مشعل آخر سوري الجنسية.

ومع نهاية الحرب وخسارة سوريا مزيدا من مساحات الجولان، سعى المسلسل إلى تسليط الضوء على أحد الطابوهات الكبرى التي تلت هذه الحرب، وهو طابو انتشار الفساد بشكل مكثف وكبير وسط المجتمع السوري وكذا السلطة السورية، وأثر هذا الفساد المستشري على أبطال العمل ومصائرهم وحيواتهم الجديدة، وتحديدا الشخصيات الفسلطينية التي وصلت في أرض الواقع إلى مناصب قيادية كبرى في المجتمع والدولة السورية على حساب أبناء البلد.

يواصل العمل متابعة تطور حيوات شخوصه، وعلى رأسهم الشخصية الفلسطينية في سوريا (مشعل) بعد مرور عشر سنوات، وتحديداً سنة 1982، والمنعطف الخطر الذي مرت به سوريا والمنطقة حينها، بدءا من أحداث مدينة حماة بين السلطات السورية وجماعة الإخوان المسلمين من جهة، واجتياح حافظ الأسد للبنان وحصار بيروت عام 1982 وهذا الحدث الأخير الذي أثّر كثيرا على شعل الفلسطيني ودفعه للسفر إلى بيروت، وسعيه تفكيك بنية الفساد السورية التراكمية هذه التي تؤدي ختاما إلى انهيار المنظومة القوية التي بنتها بعض الشخصيات السورية واللبنانية والفلسطينية المستفيدة من السنوات الأولى للحرب وما بعدها.

ورغم محاولة تقديم العمل شخصية الشاب الفلسطيني (مشعل) على أنه شاعر موهوب ومحظوظ ومؤثر في بنية المجتمع السوري إلا أنه أصر على تقديم الفلسطيني على أنه نازح ولاجئ، ويستعرض باستفاضة حلمه بالعودة إلى فلسطين حرة ومستقلة.

2.2مسلسل تخت شرقي: التجنيس والإقامة للفلسطينيين في سوريا

"تخت شرقي" مسلسل درامي سوري متكون من ثلاثين حلقةً عُرض لأول مرة في شهر رمضان من سنة 2010، وهو مبني على قصة وسيناريو وحوار الكاتبة يم مشهدي، ومن إخراج رشا شربتجي، وإنتاج شركة كلاكيت ميديا في دمشق، تدور أحداث العمل حول أربع زملاء في الثانوية، مختلفون جدا في طباعهم، لكن تجمعهم نفس الهموم الإنسانية والاجتماعية والعاطفية وحالة البلد المتردية، وهو من بطولة كل من قصي خولي، مكسيم خليل، محمد حداقي، معن عبدالحق، أمل عرفة، يارا صبري.

يحضر الفلسطيني ومشاكل الفلسطينيين وتحيدا مشكلة صعوبة التجنيس وحصولهم على وثاق الإقامة في سوريا، من خلال شخصية الطبيب الدكتور الفلسطيني "طارق" الذي ورغم مستواه العالي وكفاءته الكبيرة إلا أن هناك شعورا دائما يخالجه بأنه أجنبي رغم السنوات الطويلة التي أمضاها في سوريا، ورفض السلطات منحه وثائقه، بيد أن النقاش الحاد الذي دار بينه وبين زميله الطبيب السوري الدكتور "يعرب" حين أخبره أنه أيضا طبيب ويحمل الجنسية السورية لكنه يعاني من نفس الإحساس بقلة التقدير وبأنه هو أيضا كسوري يشعر بالغربة في بلده سوريا أكدت لنا كمشاهدين أن المشكلة ليست مشكلة وثاق بقدر ما هي مشكلة شعور عميق باللاانتماء.

ويُحسب للعمل أنه عالج إشكالية تجنيس الفلسطينيين بطريقة غير مباشرة ولا فجة، وعمد إلى عقد مقارنات مباشرة وغير مباشرة بين أوضاع السوريين والفلسطينيين في سوريا وبأنّ الحال من الحال بينهما.

3.2 مسلسل جلسات نسائية: المسيحيون الفلسطينيون في أحياء المسلمين السوريين

مسلسل "جلسات نسائية" مسلسل اجتماعي سوري متكون من اثنين ثلاثين حلقةً عُرض لأول مرة في شهر رمضان من سنة 2011، وهو مبني على قصة وسيناريو وحوار الكاتبة أمل حنّا، ومن إخراج المثنى الصبح ومن إنتاج شركة سوريا الدولية للانتاج، تدور أحداث العمل حول قصص أربع نساء في العصامة دمشق، ويعالج مشاكل النساء السوريات وعلاقاتهن الإنسانية وعلاقات الحب التي تجمع بين الرجل والمرأة، وعن طبيعة الرجل المتحكم، وعن مشاكل النساء السوريات كالطلاق والعنوسة والخيانة والعقم ومشاكل المرأة بشكل عام في المجتمع العربي، وهو من بطولة كل من أمل بشوشة، نسرين طافش، هيا مرعشلي، وناظلي الرواس.

يحضر الفلسطينيون كشخصية ثانوية من خلال "الخالة أم عزيز" التي تؤدي دور جارة من مسيحيي فلسطين الذين هربوا من القدس بُعيد النكبة، وعاشت طوال عمرها في أحياء السوريين المسلمين وتماهت معهم رغم أنها فلسطينية ومسيحية.

يعالج المسلسل قصة فرعية حول النساء الفلسطينيات الهاربات من قمع الاحتلال الإسرائيلي الديني والعرقي والهوياتي، ويمجدّ التقبل السوري للمختلفين عنه دينيا وعرقيا، عبر إبرازه تقبل المسلمين السوريين لوجود لاجئة مسيحية فلسطينية بينهم على مدار عقود من الزمن.

4.2 مسلسل بقعة ضوء (الجزء الرابع) حلقة " star العرب": من يتوسط للفلسطينيين؟

بقعة ضوء، هو مسلسل سوري اجتماعي، يعرض قصصا منفصلةً غير مترابطة، وفي كل حلقة يتناول مواضيع درامية متنوعة ومعبرة عن الحياة العامة، ويسلط عليها الضوء بشكل ناقد وعميق. بدأ بث المسلسل عام 2001 ووصل إلى 15 جزءا حتى الآن، وهو من تأليفٍ جماعي، وإخراجٍ جماعي كذلك.

سنة 2005، وفي الجزء الرابع منه، قدم المسلسل حلقة مستقلة بعنوان "ستار العرب"، وهي محاكاةٌ سياسية ناقدة لبرنامج "ستار أكاديمي" الموسيقي، إذ تُوجّه الحلقة نقدا لاذعا للشباب الباحثين عن الشهرة والنجومية والمال بشكل سريع، وتنتقد طبيعة المشاركين في برامج المسابقات هذه، وقدرتهم الهائلة على تقديم كل التنازلات المطلوبة منهم من أجل الشهرة السريعة.

ثم تنتقل الحلقة إلى مستوى أعلى، حين ترى الأنظمة السياسية العربية إدمان الشعوب على مثل هذه البرامج، فيبدأ سعي كل نظامٍ سياسي لاستغلال المشترك الذي ينتمي إلى بلده، من أجل تخدير الشعب وإلهائه عن مشاكله ودفعه لمتابعة المشترك الذي يحملون جنسيته، فتبدأ الأنظمة العربية بالضغط سياسيا على لجنة تحكيم البرنامج لمنح اللقب لمشترك معين من جنسية عربية معينة، أو على الأقل الضغط لعدم إقصائه وبقائه أسبوعا إضافيا.

ثم نستكشف وضعية شخصية "المشترك الفلسطيني" حين يدخل أعضاء لجنة التحكيم إلى غرفة خلفيةٍ للتشاور، والتي تتزامن مع عرض شاشة التلفزيون مشاهد من أحداث المقاومة الفلسطينية، ويتساءل أعضاء اللجنة عمن سيضغط عليهم من أجل إنجاح المشترك الفلسطيني، ويتوصّلون إلى نتيجة مفادها أن هؤلاء المشتركين هم في معركة غير متكافئة، لأنه لا يوجد من يتوّسط للفلسطينيين لنجاح مشتركهم أو حتى لبقائه ولو لأسبوع آخر حتى.

إن هذه الحلقة هي لوحة رمزية بامتياز، فالمشترك الفلسطيني الموهوب والمغلوب على أمره هو في الحقيقة صورة عن الشعب الفلسطيني ككل، الذي لا يجد من يدافع عنه في المنابر الدولية أو يروي قصته أو يدافع عن حقه في البقاء، أو يشجعه ويدعمه بالمال والموارد الكافية لاستمراره في العيش.

5.2 مسلسل الفصول الأربعة/حلقة "بنت وصبي" ... أطفال اليوم مجاهدو الغد

هو مسلسل تلفزيوني سوري اجتماعي من جزئين، أنتج الجزء الأول عام 1999 والثاني في 2002، تناول في جزأيه الحياة اليومية لأسرة دمشقية والعلاقات الأسرية التي تربط بين أفرادها، وهو من تأليف دلع الرحبي وريم حنا، ومن إخراج حاتم علي، وك حقة تدور حول موضوع مستقل.

في حلقة "بينت وصبي"، تم إسقاط حادثة "محمد الدرة" الطفل الشهيد الذي مات بين ذراعي والده على شعور الأطفال بحجم الكارثة التي يعشنها في فلسطين والعبء الذي سيحمله أولئك الأطفال حين يصبحون غدا رجالا ونساءً سوريين.

لقد عمد المسلسل إلى تصوير طرق اقتناع الأطفال السوريين بأن أطفال فلسطين لا يولدون صغارا بل يولدون كبارًا بسبب الأهوال التي يضطرون لمعايشتهم منذ نعومة أظفارهم، لتقرّر الطفلة السورية "نارا" طلب لقاء

سفير اليونيسيف من جل دفع أطفال سوريا أن يسموا إخوتهم (الذين لم يولدوا بعد) على أسماء شهداء فلسطين حتى يبقوا دائما أحياء ولو بالاسم.

6.2 مسلسل غدًا نلتقي

"غدًا نلتقي" هو مسلسل سوري درامي اجتماعي، عرض للمرة الأولى سنة 2015، ويتكون من ثلاثين حلقة، وهو من تأليف إياد أبو الشامات، وإخراج رامي حنا، ويسلّط الضوء على الواقع الإنساني المرير للنازحين السوريين بعد أحداث الربيع العربي التي وصت إلى سوريا ومحولة الإطاحة بالرئيس بشار الاسد، وهروب بالملايين من السوريين نحو تركيا والجزائر والأردن وألمانيا، وهو من بطولة مكسيم خليل، كاريس بشار، منى واصف، عبد المنعم عمايري.

يظهر الفلسطيني هنا في صورة اللاجئ "تيسير"، الشاب الفلسطيني الذي يعيش تجربة النزوح مرتين، مرة من فلسطين إلى سوريا، ومرة من سوريا إلى تركيا بسبب الأحداث في وطنه الأم، ثم في بلده الثاني سوريا، ونظرة الآخرين التحقيرية إليه، وسعيه الدؤوب للعيش فقط بسلام والابتعاد عن منغصات الحية الكثيرة من حوله.

قصة العمل

مجموعة من النازحين السوريين يهربون إلى لبنان من دموية أحداث ما بعد الأزمة السورية، وتدور أحداث المسلسل حول النماذج البشرية المتنوعة الموجودة في هذا المجتمع الصغير، فمنهم الزوج الذي تهرب زوجته منه إلى أمريكا ومنهم النازح الموالي، ومنهم المعارض ومنهم الأم المريضة التي تتابع الأحداث بدون أن تقوى على الحراك، وهكذا تتفاعل الأحداث مع مجتمع الهاربين المختلف عن بعضه

خاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية، فضّلنا أن نخصص الخاتمة كفضاءٍ لتقديم تعليق أو تعقيب حول نتائج المسح المونوغرافي المُجرى، إذ يبدو من المهم بمكمنٍ الإشارة إلى أنّ الدراما السورية المعاصرة، ورغم ريادتها في تناول القضايا العربية المعاصرة خاصةً العادلة منها وعلى رأسها القضية الفلسطينية، فإنّ المسح الرصدي المونوغرافي المُجرى، أوضح أن هناك تفاوتًا واضحا في تقديم القضية الفلسطينية، إذ أنّ هناك تناولا "**كيفيا**" مميزا للقضية ميزته طبيعة القصص والشخوص المقدمة وطريقة كتابة الشخصيات وبناء خلفياتها السياسية والاجتماعية والنفسية التي ترنو في كثيرٍ من الأحيان إلى التعقيد والتركيب كتحصيل حاصلٍ لأهوال ما يعيشه الفرد الفلسطيني على أرض الواقع، وهو التميّز "**الكيفي**" الذي يحتاج أن يقابله تميّز "**كميّ**" مماثل لزيادة عدد

الأعمال التي قدمت قصصا وشخوصا تدور حول القضية الفلسطينية كون المسح الرصدي أظهر أن عددها قليل للغاية مقارنة بمجموع الأعمال السورية المعاصرة، وقليلا للغاية قياسا بما يمكن الدراما السورية تقديمه للقضية.

مع التنويه كذلك أن هذا العمل المقدم هو عمل تأسيسي (لم يسبقنا إليه عمل بحثي آخر في حدود ما اطعنا عليه)، ما يجعله فضاء خصبا للإضافة والتعديل والتعقيب والتعديل والتحسين مستقبلا.

كما أنه وبسبب ضيق الوقت وقلة الموارد وصعوبة تغطية جميع الأعمال التلفزيونية السورية المقدمة، فإن المجال مفتوحٌ لباحثين آخرين للقيام بنفس العمل مع "**السينما السورية** (بأفلامها القصيرة والطويلة والروائية والتسجيلية) أو مع المسلسلات السورية الكوميدية التي على الأغلب استحضرت القضية الفلسطينية وقدمتها ولو في سياق كوميدي.

كما أن الباحث ارتكز على الدراما السورية فقط لميله نحوها، ما يعني أن ابفضاء مفتوح للقيام بنفس المونوغرافيا مع درامات أخرى كالدراما المصرية أو اللبنانية أو غيرهما، ولما لا عقد مقارنات بينها وبين الدراما السورية في دراسات مستقبلية محتملة.

3. قائمة المراجع:

1. إبراهيم أبراش. (2009). *المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الإجتماعية*. القاهرة: دار الشروق.
2. السيد احمد مصطفى عمر. (2002). *البحث العلمي: إجراءاته و مناهجه*. القاهرة : مكتبة الفلاح.
3. محمد الحبيب الخضراوي. (2021). الدراسات المونوغرافية لمؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط النظامي. *مجلة العلوم الاجتماعية المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتجية والسياسية والاقتصادية ببرلين*.